وأحشو صدفتي من درر ألفاظه الى أن نعب بيننا غراب البين ففارقته مفارقة الجفن للعين

والشواظ لهب النار الذى لا دخان فيه (صدفتى) اذنى (نعب) صاح (البين) الفراق والغراب اذا صاح عندهم تشاءموا به وقد تقدم ذلك (مفارقة الجفن للعين) أى مسرعا بقدر ما تفتح عينك (من شرح المقامات للشريشى)

الباب السادس فى المراسلات والمنشآت

(وصية عبد الحميد الكاتب لطائفة الكتاب)

أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم فان الله عز وجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعد الملوك المكرمين أصنافا وان كانوا فى الحقيقة سواء وصرفهم فى صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى أسباب معائشهم وأبواب أرزاقهم فجعلكم معشر الكتاب فى أشرف الجهات أهل الادب والمروآت والعلم والرزانة بكم تنتظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بلدانهم لا يستغنى الملك عنكم ولا يوجد كاف الا منكم فوقعكم من الملوك موقع أسماعهم التى بها يسمعون وأبصارهم التى بها يبصرون وألسنتهم التى بها ينطقون وأيديهم التى بها يبطشون فأمتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم وليس أحد من أهل الصناعات كلها أحوج الى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيها الكتاب اذا كنتم على ما يأتى فى هذا الكتاب من صفتكم فان الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذى يثق به فى مهمات أموره أن يكون حليما فى موضع الحلم فهيبا فى موضع الحكم مقداما فى موضع الاقدام محجاما فى موضع الاحجام موثرا للعفاف والعدل والانصاف كتوما للاسرار وفيا عند الشدائد عالما بما يأتى من النوازل يضع الامور فى مواضعها والطوارق فى أماكنها قد نظر فى كل فن من فنون العلم فاحكمه وان لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفى به يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعد لكل أمر عدته وعتاده ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته فتنافسوا يا معشر الكتاب فى صنوف الآداب وتفقهوا فى الدين وأبدؤا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فانها ثقاف ألسنتكم ثم أجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسموا اليه هممكم ولا تضيعوا النظر فى الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودنيها وسفسافها الامور ومحاقرها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهوا صناعتكم عن الدناءة

واربؤا بأنفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه أهل الجهالات واياكم والكبر والسخف والعظمة فانها اعداوة مجتلبة من غير احنة وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو أليق لاهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه واسوه حتى يرجع اليه حاله ويثوب اليه أمره وان أقعد أحدا منكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه أحوط منه على ولده وأخيه فان عرضت في الشغل محمدة فلا يصرفها الا الى صاحبه وان عرضت مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فان العيب اليكم معشر الكتاب أسرع منه الى القراء وهو لكم أفسد منه لها فقد علمتم أن الرجل منكم اذا صحبه من يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله وخيره ونصيحته وكتمان سره وتدبير أمره ما هو جزاء لحقه ويصدق ذلك تعاهله عند الحاجة اليه والاضطرار الى ماله فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم في حالة الرخاء والشدة والحرمان والمواساة والاحسان والسراء والضراء فنعمت الشيمة هذه لمن وسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة واذا ولي الرجل منكم أو صير اليه من أمر خلق الله وعياله أمر فليراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقا وللمظلوم منصفا فان الخالق عيال الله وأحبهم اليه أرفقهم بعياله ثم ليكن بالعدل حاكما وللاشراف مكرما وللنفي عموفرا وللبلاد عامرا وللرعية متألفا وعن أذاهم متخلفا وليكن في مجلسه متواضعا حليما وفي مجلات خراجه واستقضاء حقوقه رفيقا واذا صحب أحدكم رجلا فليختبر خلائقه فاذا عرف حسنها وقبيحها أعانه على ما يوافقه من الحسن واحتال على صرفه عما يراه من القبيح بالطف حيلة وأجمل وسيلة وقد علمتم أن سائس البهيمة اذا كان بصيرا بسياستها لم يعسر معرفة أخلاقها فان كانت رموحا لم يهجها اذا ركبها وان كانت شموسا انقاها من بين يديها وان خاف منها شرودا توقاها من ناحية رأسها وان كانت حرونا قمع برفق هواها في طرقها فان استمرت عطفها يسيرا فيساس له قيادها وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم والكاتب لفضل أدبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوله من الناس ويناظره ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تحير جوابا ولا تعرف صوابا ولا تفهم خطابا الا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب عليها ألا فارفقوا رحمكم الله في النظر واعملوا ما أمكنكم فيه من الروية والفكر تأمنوا باذن الله ممن صحبتموه النبوة والاستثقال والجفوة ويصير منكم الى الموافقة وتصيروا منه الى المواخاة والشفقة ان شاء الله ولا يجاوز الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه

ومطعمه ومشربه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير واستعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهما يعقبان الفقر وبذلان الرقاب ويفضحان أهلهما ولاسيما الكتاب وأرباب الآداب والامور أشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتنف أعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة وأصدقها حجة وأحمدها عاقبة واعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ عمله ورويته فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه وليوجز في ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حجته فان ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل عن اكثاره وليضرع الى الله في صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضر ببدنه وعقله وأدبه فانه ان ظن منكم ظان أو قال قائل ان الذي برز من جميل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بحسن ظنه أو مقالته الى أن يكله الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تأمله غير خاف ولا يقولن أحد منكم انه أبصر بالامور وأجل لعب التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته فان أعقل الرجلين عند ذوي الالباب من رمى بالعجب وراء ظهره ورأى أن أصحابه أعقل منه وأجل في طريقه وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكاثر على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيره وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره وتممته به ولا لا الله وإياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه باسعاده وارشاده فان ذلك اليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

صورة ما كتبه طاهر بن الحسين لابنه عبد العزيز بن طاهر لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما فكتب اليه أبو طاهر كتابه المشهور عهد اليه فيه ووصاه بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخلقية والسياسة الشرعية والملوكية وحثه على مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم بما لا يستغني عنه ملك ولا سوقة ونص الكتاب

(بسم الله الرحمن الرحيم) أما بعد فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته عز وجل ومزايلة سخطه واحفظ رعيتك في الليل والنهار والزم ما ألبسك الله من العافية بالذكر لمعادك

وما أنت صائر اليه وموقوف عليه ومسؤل عنه والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله عز وجل
ويحبيك يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه فان الله سبحانه قد أحسن اليك وأوجب الرأفة
عليك بحسن استرعائك أمرهم من عباده وألزمك العدل فيهم والقيام بحقه وحدوده عليهم والذب
عنهم والدفع عن حريمهم ومنصبهم والحقن لدمائهم والامن لسربهم وادخال الراحة عليهم
ومؤاخذك بما فرض عليك وموقفك عليه وسائلك عنه ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت
ففرغ لذلك فهمك وعقلك وبصرك ولا يشغلك عنه شاغل وأنه رأس أمرك وملاك شأنك
وأول ما يوقفك الله عليه وليكن أول ما تلزم به نفسك وتنسب اليه فعلك المواظبة على ما فرض
الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك ويوابعها على سننها من اسباغ
الوضوء لها وافتتاح ذكر الله عز وجل فيها وترتل في قراءتك وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك
وتصرف فيه رأيك ونيتك واحضض عليه جماعة ممن معك وتحت يدك وادأب عليها فانها كما قال
الله عز وجل تنهى عن الفحشاء والمنكر ثم أتبع ذلك باخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمثابرة على خلائقه واقتفاء أثر السلف الصالح من بعده واذا ورد عليك أمر فاستعن عليه
باستخارة الله عز وجل وتقواه وبلزوم ما أنزل الله عز وجل في كتابه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه
وائتمام ما جاءت به الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بالحق لله عز وجل ولا تميلن
عن العدل فيما أحببت أو كرهت لقريب من الناس أو لبعيد وآثر الفقه وأهله والدين وحملته
وكتاب الله عز وجل والعاملين به فان أفضل ما يتزين به المرء الفقه في الدين والطلب له والحث عليه
والمعرفة بما يتقرب به الى الله عز وجل فانه الدليل على الخير كله والقائد اليه والآمر به والناهي
عن المعاصي والموبقات كلها ومع توفيق الله عز وجل يزداد المرء معرفة واجلالا له ودركا للدرجات
العلى في المعاد مع ما في ظهوره للناس من التوقير لامرك والهيبة لسلطانك والانسة بك والثقة
بعدلك وعليك بالاقتصاد في الامور كلها فليس شيء أبين نفعا ولا أخص أمنا ولا أجمع فضلا منه
والقصد داعية الى الرشد والرشد دليل على التوفيق قائد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية
بالاقتصاد وكذا في دنياك كلها ولا تقصر في طلب الآخرة والاجر والاعمال الصالحة والسنن
المعروفة ومعالم الرشد والاعانة والاستكثار من البر والسعي له اذا كان يطلب به وجه الله تعالى
ومرضاته ومرافقة أولياء الله في دار كرامته أما تعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز ويحصن
من الذنوب وانك لن تحوط نفسك من قائل ولا تصلح أمورك بافضل منه فانه واهتد به تتم أمورك
وتزيد مقدرتك ويصلح عامتك وخاصتك وأحسن ظنك بالله عز وجل تستقم لك رعيتك والتمس
الوسيلة اليه في الامور كلها تستدم به النعمة عليك ولا تتهم أحدا من الناس فيما توليه من عملك

قبل أن تكشف أمره فان ايقاع التهم بالبرآء والظنون السيئة بهم آثم فاجعل من شانك حسن الظن بأصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه فيهم يعينك ذلك على استطاعتهم ورياضتهم ولا تتخذن عدو الله الشيطان فى أمرك معدا فانه انما يكتفى بالقليل من وهنك ويدخل عليك من الغم بسوء الظن بهم ما ينقص لذاذة عيشك واعلم انك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكتفى به مما أحببت كفاية من أمورك وتدعو به الناس الى محبتك والاستقامة فى الامور كلها ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك والرأفة برعيتك أن تستعمل المسئلة والبحث عن أمورك والمباشرة لامور الاولياء وحياطة الرعية والنظر فى حوائجهم وحمل مؤناتهم ايسر عندك مما سوى ذلك فانه أقوم للدين وأحيى للسنة وأخلص نيتك فى جميع هذا وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم أنه مسؤل عما صنع ومجزى بما أحسن ومؤاخذ بما أساء فان الله عز وجل جعل الدنيا حرزا وعزا ورفع من اتبعه وعزه واسلك بمن تسوسه وترعاه منهج الدين وطريقه الاهدى وأقم حدود الله تعالى فى أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك ولا تتهاون به ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة فان فى تفريطك فى ذلك ما يفسد عليك حسن ظنك واعتزم على أمرك فى ذلك بالسنن المعروفة وجانب البدع والشبهات يسلم لك دينك وتتم لك مروءتك واذا عاهدت عهدا فأوف به واذا وعدت الخير فأنجزه واقبل الحسنة وادفع بها وأغمض عن عيب كل ذى عيب من رعيتك واشدد لسانك عن قول الكذب والزور وابغض أهل النميمة فان أول فساد أمورك فى عاجلها وآجلها تقريب الكذوب والجراءة على الكذب لان الكذب رأس المآثم والزور والنميمة خاتمتها لان النميمة لا يسلم صاحبها وقائلها لا يسلم له صاحب ولا يستقيم له أمر وأحبب أهل الصلاح والصدق وأعن الاشراف بالحق وأعن الضعفاء وصل الرحم وابتغ بذلك وجه الله تعالى واعزاز أمره والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة واجتنب سوء الاهواء والجور واصرف عنهما رأيك وأظهر براءتك من ذلك لرعيتك وأنعم بالعدل سياستهم وقمهم بالحق فيهم وبالمعرفة التى تنتهى بك الى سبيل الهدى واملك نفسك عند الغضب وآثر الحلم والوقار واياك والحدة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله واياك أن تقول أنا مسلم أفعل ما أشاء فان ذلك سريع الى نقص الرأى وقلة اليقين بالله عز وجل وأخلص لله وحده النية فيه واليقين واعلم أن الملك لله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ولن تجد تغير النعمة وحلول النقمة الى أحد أسرع منه الى جهلة النعمة من أصحاب السلطان والمبسوط لهم فى الدولة اذا كفروا نعم الله واحسانه واستطالوا بما أعطاهم الله عز وجل من فضله ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخائرك وكنوزك التى تدخر وتكنز البر والتقوى واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لامورهم والحفظ لدمائهم والاغاثة للملهوفين واعلم أن الاموال

اذا اكتنزت وادخرت فى الخزائن لا تنمو واذا كانت فى صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف الاذية عنهم نمت وزكت وصلحت به العامة وترتبت به الولاية وطاب به الزمان واعتقد فيه العز والمنفعة فليكن كنز خزائنك تفريق الاموال فى عمارة الاسلام وأهله ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم وأوف من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح أمورهم ومعاشهم فانك اذا فعلت قرت النعمة لك واستوجبت المزيد من الله تعالى وكنت بذلك على جباية أموال رعيتك وخراجك أقدر وكان الجمع لما شملهم من عدلك واحسانك أسلس لطاعتك وطب نفسا بكل ما أردت وأجهد نفسك فيما حددت لك فى هذا الباب وليعظم حقك فيه وانما يبقى من المال ما أنفق فى سبيل الله وفى سبيل حقه واعرف للشاكرين حقهم وأنبهم عليه واياك أن تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة فتهاون بما يحق عليك فان التهاون يورث التفريط والتفريط يورث البوار وليكن عملك لله عز وجل وفيه وارج الثواب فان الله سبحانه قد أسبغ عليك فضله واعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيرا واحسانا فان الله عز وجل يكتب بقدر شكر الشاكرين واحسان المحسنين ولا تحقرن ذنبا ولا تمالئن حاسدا ولا ترحمن فاجرا ولا تصلن كفورا ولا تداهنن عدوا ولا تصدقن نماما ولا تأمنن عدوا ولا توالين فاسقا ولا تتبعن غاويا ولا تحمدن مرائيا ولا تحقرن انسانا ولا تردن سائلا فقيرا ولا تحسنن باطلا ولا تلاحظن مضحكا ولا تخالفن وعدا ولا تذهبن فخرا ولا تظهرن غضبا ولا تباينن رجاء ولا تمشين مرحا ولا تزكين سفيها ولا تفرطن فى طلب الآخرة ولا ترفع للنمام عينا ولا تغمض عن ظالم رهبة منه أو محاباة ولا تطلبن ثواب الآخرة فى الدنيا وأكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذ عن أهل التجارب وذوى العقل والرأى والحكمة ولا تدخلن فى مشورتك أهل الرفه والبخل ولا تسمعن لهم قولا فان ضررهم أكثر من نفعهم وليس شئ أسرع فسادا لما استقبلت فيه أمر رعيتك من الشح واعلم أنك اذا كنت حريصا كنت كثير الاخذ قليل العطية واذا كنت كذلك لم يستقم أمرك الا قليلا فان رعيتك انما تعتقد على محبتك بالكف عن أموالهم وترك الجور عليهم ووال من صفا لك من أوليائك بالاتصال اليهم وحسن العطية لهم واجتنب الشح واعلم أنه أول ما عصى به الانسان ربه وان العاصى بمنزلة الحرى وهو قول الله عز وجل ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فسهل طريق الحق واجعل للمسلمين كلهم فى بيتك حظا ونصيبا وأيقن أن الجود أفضل أعمال العباد فأعده لنفسك خلقا وارض به عملا ومذهبا وتفقد الجند فى دوابهم ومكاتبيهم وأدر عليهم أرزاقهم ووسع عليهم فى معاشهم يذهب الله عز وجل بذلك فاقتهم فيقوى لك أمرهم وتزيد قلوبهم فى طاعتك وأمرك خلوصا وانشراحا وحسب ذى السلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة فى عدله وعطيته وانصافه

وعنايته وشفقته وبره وتوسعته فذلك مكروه أحد البابين باستشعار فضله الباب الآخر ولزوم العمل به تلق ان شاء الله به نجاحا وصلاحا وفلاحا واعلم أن القضاء من الله تعالى بالمكان الذى لا يساويه شئ من الامور لانه ميزان الله الذى يعدل عليه أحوال الناس فى الارض وباقامة العدل فى القضاء والعمل تصلح أحوال الرعية وتأمن السبل وينتصف المظلوم وتأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدى حق الطاعة ويرزق من الله العافية والسلامة ويقيم الدين ويجرى السنن والشرائع فى مجاريها واشدد فى أمر الله عز وجل وتورع عن النطق وامض لاقامة الحدود وأقال العجلة وابعد عن الضجر والقلق واقنع بالقسم وانتفع بتجربتك وانتبه فى صحتك واسدد فى منطقك وانصف الخصم وقف عند الشبهة وأبلغ فى الحجة ولا يأخذك فى أحد من رعيتك محاباة ولا مجاملة ولا لومة لائم وتثبت وتأن وراقب وانظر وتفكر وتدبر واعتبر وتواضع لربك وارفق بجميع الرعية وسلط الحق على نفسك ولا تسرع الى سفك الدماء فان الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم انتهاكا لها بغير حقها وانظر هذا الخراج الذى استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزا ورفعة ولاهله توسعة ومنعة ولعدوه كبتا وغيظا ولاهل الكفر من معاديهم ذلا وصغارا فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية بين الخصوص والعموم ولا تدفعن شيأ منه عن شريف لشرفه ولا عن غنى لغناه ولا كاتب لك ولا لاحد من خاصتك ولا حاشيتك ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ولا تكلف أمرا فيه شطط واحمل الناس كلهم على أمر الحق فان ذلك أجمع لالفتهم والزم ارضاء العامة واعلم أنك جعلت بولايتك خازنا وحافظا وراعيا وانما سمى أهل عملك رعيتك لانك راعيهم وقيمهم فخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ونفذه فى قوام أمرهم وصلاحهم وتقويم أودهم واستعمل عليهم أولى الرأى والتدبير والتجربة والخبرة بالعلم والعدل بالسياسة والعفاف ووسع عليهم فى الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأسند اليك فلا يشغلك عنه شاغل ولا يصرفك عنه صارف فانك متى آثرته وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن الاحدوثة فى عملك واستجررت به المحبة من رعيتك وأعنت على الصلاح فدرت الخيرات ببلدك وفشت العمارة بناصيتك وظهر الخصب فى كورك وكثر خراجك ووفرت أموالك وقويت بذلك على ارتباط جندك وارضاء العامة بافاضة العطاء فيهم من نفسك وكنت محمود السياسة مرضى العدل فى ذلك عند عدوك وكنت فى أمورك كلها ذا عدل وآلة وقوة وعدة فتنافس فيها ولا تقدم عليها شيأ تحمد عاقبة أمرك ان شاء الله تعالى واجعل فى كل كورة عن عملك أمينا يخبرك خبر عمالك ويكتب اليك بسيرهم وأعمالهم حتى كأنك مع كل عامل فى عمله معاينا لاموره كلها واذا أردت أن تأمرهم بأمر فانظر فى عواقب ما أردت من ذلك فان رأيت السلامة فيه والعافية

ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع فامضه والا فتوقف عنه وراجع أهل البصر والعلم به
ثم خذ فيه عدته فانه ربما نظر الرجل فى أمره وقد أتاه على ما يهوى فأغواه ذلك وأعجبه فان لم ينظر
فى عواقبه أهلكه ونقض عليه أمره فاستعمل الحزم فى كل ما أردت وباشره بعد عون الله عز وجل
بالقوة وأكثر من استخارة ربك فى جميع أمورك وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره وأكثر مباشرته
بنفسك فان لغد أمورا وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذى آخرت واعلم أن اليوم اذا مضى
ذهب بما فيه فاذا أخرت عملا اجتمع عليه عمل يومين فيشغلك ذلك حتى ترضى منه واذا أمضيت
لكل يوم عمله أرحت بدنك ونفسك وتستيقن أمر سلطانك وانظر أحرار الناس وذوى الفضل
منهم ممن بلوت صفاء طويتهم وشهدت مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على أمرك
فاستخلصهم وأحسن اليهم وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة واحمل مؤنتهم
وأصلح حالهم حتى لا يجدوا الما منهم مشاقر وأفرد نفسك بالنظر فى أمور الفقراء والمساكين ومن
لا يقدر على رفع مظلمته اليك والمحتقر الذى لا علم له بطلب حقه فسل عنه أحق فى مسئلة وكل بامثاله
أهل الصلاح فى رعيتك وهم برفع حوائجهم وخلالهم لتنظر فيما يصلح الله به أمرهم وتعاهد
ذوى البأساء ويتاماهم وأراملهم واجعل لهم أرزاقا من بيت المال اقتداء بامير المؤمنين أعزه الله
تعالى فى العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به وزيادة وأجر للامراء
من بيت المال وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لاكثره فى الجرائد على غيرهم وانصب لمرضى
المسلمين دورا تأويهم وقواما يرفقون بهم وأطباء يعالجون أسقامهم وأسعفهم بشم واتهم
ما لم يؤد ذلك الى سرف فى بيت المال واعلم أن الناس اذا أعطوا حقوقهم وفضل أمانتهم لم تبرمهم
وربما تبرم المتصفح لامور الناس لكثرة ما يرد عليه ويشغل ذكره وفكره منها ما ينال به مؤنة ومشقة
وليس من يرغب فى العدل ويعرف محاسن أموره فى العاجل وفضل ثواب الآجل كالذى يستقز
ما يقربه الى الله تعالى ويلتمس رحمته وأكثر الاذن للناس عليك وأرهم وجهك وسكن حراسك
واخفض لهم جناحك وأظهر لهم بشرك ولن لهم فى المسئلة والنطق واعطف عليهم بجودك
وفضلك واذا أعطيت فأعط بسماحة وطيب نفس والتمس للصنيعة والاجر من غير تكدير ولا استنان
فان العطية على ذلك تجارة مربحة ان شاء الله تعالى واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى
من قبلك من أهل السلطان والرياسة فى القرون الخالية والامم البائدة ثم اعتصم فى أحوالك بالله
سبحانه وتعالى والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته وباقامة دينه وكتابه واجتنب ما فارق
ذلك وخالفه ودعا الى سخط الله عز وجل واعرف ما تجمع عمالك من الاموال وما ينفقون منها
ولا تجمع حراما ولا تنفق اسرافا وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن هواك
اتباع السنن واقامتها وايثار مكارم الاخلاق ومقالتها وليكن اكرم خلائقك وخاصتك عليك

من اذا رأى عيبا لم تمنعه هيبتك من انهاء ذلك اليك فى ستر واعلامك بما فيه من النقص فان أولئك أنصح أوليائك ومظاهر بك لك وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك فوقت لكل رجل منهم فى كل يوم وقتا يدخل فيه بكتبه ومؤامرته وما عنده من حوائج عمالك وأمور الدولة ورعيتك ثم فرغ لما يورد عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكرر النظر فيه والتدبير له فما كان موافقا للحق والحزم فأمضه واستخر الله عز وجل فيه وما كان مخالفا لذلك فاصرفه الى المسئلة عنه والتثبت ولا تمض على رعيتك ولا غيرهم معروف تؤتيه اليوم ولا تقبل من أحد الا الوفاء والاستقامة والعون فى أمور المسلمين ولا تضعن المعروف الا على ذلك وتفهم كتابى اليك وأمعن النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع أمورك واستخره فان الله عز وجل مع الصلاح وأهله وليكن أعظم سيرتك وأفضل رغبتك ما كان لله عز وجل رضى ولدينه نظاما ولاهله عزا وتمكينا وللذمة عدلا وصلاحا وأنا أسأل الله عز وجل أن يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءتك والسلام وحدث الاخباريون أن هذا الكتاب لما ظهر وشاع أمره أعجب به الناس واتصل بالمأمون فلما قرئ عليه قال ما أبقى أبو الطيب يعنى طاهرا شيأ من أمور الدنيا والدين والتدبير والرأى والسياسة وصلاح الملك والرعية وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة الا وقد أحكمه وأوصى به ثم أمر المأمون فكتب به الى جميع العمال فى النواحى ليقتدوا به ويعملوا بما فيه هذا أحسن ما وقفت عليه فى هذه السياسة والله أعلم

رسالة وداديه

سلام يعبر عن الود اطيب عبيره ويخبر عن اخلاص الفؤاد لطف تعبيره وثناء على محاسن تلك الشمائل أرق من نسمات الشمائل وتحية بهية تباهى الخمائل بنفحات أورادها وأدعية مرضية جعلتها الالسنة خير أورادها وسؤال عن المزاج الزاهر وصحة الخاطر الباهر لازالتم محل نعمة يتصل على مدى الايام بقاؤها ويزيد على مر الشهور والاعوام بهاؤها ولا برحت ثغور الاقبال اليكم بواسم ورياح الآمال لديكم نواسم ولا انفكت الايام والليالى متقلدة بجلاكم أجيادها والمعالى متسابقة الى ساحة حماكم جيادها آمين

وبعد فان بى من الاشواق ما تضعف عن حمله الى حماكم الاوراق ومن التأسف على ما حرمته من لقياكم والتلهف الى مطالعة أنوار محياكم ما يقصر عن وصفه لسان البراعة ويقصر دون رصفه بيان البراعة ويضيق عنه نطاق العبارة ولا ينفسح له ميدان الاشارة وان فى ضميركم الاجلى ونور فكركم الأعلى ما يكفى فى الدلالة ويغنى عن الاطالة فى المقالة وان تفضلتم بالسؤال فانا بحمد الله قد بلغنا الآمال والجميع فى صحة وعافية وحسن حال والكل مشتاقون اليكم ويسلمون عليكم وعبد الله فكرى يقبل يديكم (لعبد الله باشا فكرى)

(وله أيضا)

الشوق الى لقياكم واجتلاء نور محياكم تضعف عن نقله حمائم الرسائل ولا يحتاج فى اثباته للحجج والدلائل فانه يطوى شقة البين ويقرب بكم العين ويتغنى ببقائكم وطيب لقائكم وقد ورد خطكم الكريم فسر أنفسا تعرفه وتألفه وأقر أعيا لا تزال ترقبه وتتشوفه وقد كان مر بخاطرى وخطر لفكرى أن أسابق سيدى ومولاى برسالة أشكو فيها لواعج البعاد وأقضى بها بعض الفروض الواجبة من حقوق الوداد ولكن أبى الله الا أن يكون سيدى هو السابق لتلك الفضيلة والبادئ بهذه المكرمة الجميلة وأن أكون المقصر فى جنب تطوله والمفرط فى جانب تفضله على أنى لم أكن مقصرا فى دعاء يصحبه الحب ويرافقه الاخلاص وثناء على محاسن تلك الشمائل أوجبه مزيد الاختصاص وسؤال عن ذلك الخاطر الزاهر أستقبل به كل وارد وأشيع كل صادر والأمل اتصال ما يطمئن به الفؤاد من رسائل الوداد حتى ينقضى أمد البعاد ذلك غاية المراد (قوله فى هذا الكتاب حمائم الرسائل يشير الى ما كان فى سالف الزمان من استعمال الحمام فى ايصال الكتب التى يراد سرعة وصولها الى الامكنة البعيدة وذلك ان الناس لما عرفوا فى الحمام خاصة الألفة لموضعه واهتدائه له اذا أبعد عنه وعرفوا منه نوعا قويت فيه تلك الخاصة ربوا ابراجا بين النواحى المتباعدة كمصر والشام وبغداد واتخذوا لكل برج حماما ربوه فيه حتى ألفه وكانوا ينقلون حمام كل برج الى ما يليه فاذا أرادوا أن يوصلوا الكتاب علقوه فى جناحه وأرسلوه فيتلقاه الموظفون لاخذ الكتب منه عند وصوله الى برجه ويعلقونه فى جناح حمام البرج الآخر وهكذا فكان يصل الكتاب الى القصد فى زمن لا يمكن للبريد وكان للحمام ديوان له رؤساء وخدم وكان من المصالح المهمة وأغنى عنه وعن غيره فى زماننا هذا ذلك السلك الممدود على ذلك الخشب المنصوب الذى صار شبكة على الكرة الارضية)

(وكتب لسلطان المغرب من الحضرة الخديوية جوابا عن كتاب)

قرة نواظر الدين والدنيا وغرة مفاخر الملك والعليا وبدر مطالع السعد المشرقة أزمانه بلآلائه وذخر مجامع المجد المورقة أفنانه بآلائه القائم بأمر الدين الحنيف وحامى حمى الملك المنيف ماحى ظلم الظلم ومبدد مراسمه ورافع لواء العدل ومجدد معالمه ذروة هامة الشرف الاسمى ومن تتباهى بحلاه النعوت والاسما الملك المعظم السلطان المفخم أمير المؤمنين بالديار المغربية دامت محفوفة بالرعاية الابدية محفوظة بالوقاية الاحدية ملحوظة بعين العناية الصمدية ولا برحت أعواد المنابر متباهية باسمه الكريم وأجياد المفاخر حالية بمجده القديم ولا زالت سدته الكريمة محل اجلال وتفخيم سلام يستتبع مزيد التكريم ويستجمع صنوف التبجيل والتعظيم وأدعية بهية تتمسك بأذيال الاجابة والقبول وأثنية سنية تتمسك بها نفحة الصبا والقبول يهدى لذلك المقام الارفع

والحى الاعلى الاعز الامنع أدامه الله مورد قبول واقبال ومعهد فضل وافضال ولازالت أنديته معمورة بالعز والتمكين وألويته منشورة بالنصر المبين وبعد فقد حظيت بورود مشرفكم العالى وقرت بمطالعته عيون آمالى وشكرت لما تفضلتم بابدائه وسررت بما تطولتم باهدائه واغتبطت بما ذكرتم بحسن بيانه من تأكيد الود القديم وتشييد بنيانه والتهنئة بما تجدد لدىّ من نعم الله تعالى علىّ فكان نزهة النواظر وبهجة الخواطر وبغية القرائح ومسرة الجوانح هذا وانى مازلت أسمع أحاديث علاكم متصلة الاسناد فأطرب على السماع وأنشر من مدائح محامدكم ما تتعطر به الافواه والاسماع وأعتد مودتكم غنية النفس ومناها ومصافاتكم غاية الآمال ونهاية مداها فقد شاع من محاسن شمائلكم السامية وغرر مزاياكم الكريمة وجلائل فضائلكم النامية وقيامكم بامر الشريعة الشريفة واهتمامكم بتأييد هذه الملة المنيفة ونشر أنواع العدل بين العباد والقيام على أقدام الاقدام فى مناهج السداد ماتناقلته السمار فى أسمارها وسارت به الركبان فى أسفارها وخلدته الايام فى أسفارها وأخجل الشمس الضاحية فى إسفارها حتى أصبحت الليالى متباهية بعلاه حالية بحلاه وصار مصداق الحديث الوارد فى الطائفة القائمة على أمر الله فابقاكم الله للاسلام ساعدا وعضدا وللدين قوة ومددا وللانام ركنا وسندا وللحق عمادا ومعتمدا وأدام عليكم وعلينا نعمه باطنة وظاهرة وحفنا وإياكم بعونه وعنايته فى الدين والدنيا والآخرة

(وكتب لسلطان زنجبار)

الملك المعظم والسلطان المفخم سلطان جزيرة زنجبار صانها الله تعالى من الاكدار سلام يفسر عن إخلاص المودة سناه وثناء يخبر عن صدق المحبة لفظه ومعناه وتحية تتمسك بنفحاتها المحافل وتتمسك بأذيالها نسمات الشمائل الى حضرة خلاصة الاماجد الاكارم وينبوع الفضائل والمكارم مفخر الملك والعليا وانسان عين الدين والدنيا من أشرقت صفحات الايام بنور اقباله واتفقت كلمات الانام على شكر خلاله وقرت بسعوده النواظر وترنحت بوجوده أعواد المنابر فكأنها الغصون النواضر الاجل الاكرم الاسعد الامجد الافخم المشار اليه أعلاه حرس الله علاه ولازالت ثغور الملك بعمالية باسمة ورياح السعد فى نواديه ناسمة وعيون الخطوب عن سدته نائمة وغيوث السرور فى ساحته دائمة أمين وبعد فقد وصل الىّ مشرفكم الكريم وتلقيته بما ينبغى له من التكريم فحصل لى مزيد المسرة بصحة مزاج تلك الحضرة وأخبرنى أيضا فلان قبودان سفينتنا الابراهيمية أنه لما وصل الى جهة مملكتكم المحمية حظى من جنابكم العالى بحسن التشريف وحصل له غاية المساعدة ونهاية التلطيف وشرح لدىّ ما ناله هنالك من صنوف الالتفات والاسعاد وأوصل الىّ أيضا من طرفكم الشريف فرسين كريمتين من الصافنات الجياد

فاحاط بى من السرور والابتهاج بما أبديتموه من معالى هممكم ولاسيما ما تكرمتم به من تشريف تلك السفينة بقدوم قدومكم ما يقصر فى وصفه اللسان ويقصر عن تعريفه بنان البيان ويضيق عنه نطاق التعبير ولا ينفسح له مجال التقرير والتحرير فشكر الله تلك الهمم العوالى وابقاها ما دامت الايام والليالى وهذا المحب بحمد الله فى صحة وعافية ونعمة من الله تعالى وافية ولا زال مشمول القلب بالمودة اليكم مشغول اللسان بالثناء عليكم محافظا على صدق الموالاة والوداد مواظبا على حسن المصافاة ومزيد الاتحاد والمرجو أن يتصل ذلك بين الطرفين على الدوام وكل ما لزم من هذا الجانب فهو رهين الاشارة والسلام

(وكتب الى من بجزيرة كريد من العساكر المصرية من طرف الجناب الخديوى ليقرأ عليهم)

لقد علم لدينا بما ورد الينا من جزئيات الوقعات العسكرية وما أوضحه أيضا فلان باشا فى معروضاته الشفاهية مما رآه بالعيان ورواه بالبيان تفصيل ما وقع من الحروب والغزوات فى نواحى أبوقرون وما يليها من الجهات وأحظنا بما أبديتم من الاقدام والشجاعة وما أديتم من الاهتمام والبراعة وما كان منكم من ثبات الجاش والقلب فى مواقع الضرب ومعامع الحرب وما شاهدته منكم الاعين وشهدت لكم به الالسن من الهجوم على الجبال الوعرة واقتحام المحال العسرة واظهار الباس والصولة فى تأييد الملة والدولة وتبديد من لقيتم من جنود العصاة البغاة وتسخير ما كانوا متمكنين به ومتحصنين فيه من المحلات وتبديد ما أحكموا من استحكاماتهم وتنديد من أقدموا من طغاتهم فأحاط بى من السرور وكمال الانس والحبور ومزيد الحظ الموفور ما ملأ الجوانح انشراحا والجوارح طربا وارتياحا وأظهر حسن اعتقادى فى شجاعتكم القلبية وبراعتكم الحربية وغيرتكم الملية وحميتكم الجبلية وشغفكم باعلاء شأن الوطن وابقاء الذكر الجميل والصيت الحسن وأكد ذلك ما شهدت به الانام من سوالف الايام للعساكر المصرية وضباطها الجهادية من قدم الصدق فى الحروب وحسن السابقة فى الخطوب وثبات القدم والجنان اذا طاش قدم الهلوع وطار قلب الجبان فانهم خلدوا فى أوراق الليالى علاهم وقلدوا فى أعناق المعالى حلاهم بما لهم من الوقائع المشهورة والمواقف المشكورة وقوة البأس على الاعداء وشدة الصولة والبسالة فى مواقف الهيجاء وما بنوه من منار الفخر والمجد على أساس الشرف والمظهر وما اجتنوه من ثمرات النصر من ورق الحديد الاخضر وأنتم أولى بتشييد ما بنته اخوانكم الاول وتأييد ما شاع لهم من الفخر والشهرة عند جميع الدول ثم انكم اذا أمعنتم الفكر الثاقب وتبينتم النظر الصائب وتفكرتم فى أعقاب الامور ومصائرها وتدبرتم فى موارد الاحوال ومصادرها علمتم أنكم اذا أثبتم ذلك الصيت الممدوح واكتسبتم بمشيئة الله تعالى النصر والفتوح

كان لكم ذلك افتخارا بين أقرانكم وسرورا لاهلكم واخوانكم فان الاخبار تتناقلها الرواه وتتواصل بالمكاتبات والافواه ثم ليكن على بال منكم ولا يغب طرفة عين عنكم أن هذه البلاد التى أنتم لديها والجبال والاودية التى أنتم عليها وحواليها كم سبق فيها من غزوة عظيمة ووقعة جسيمة ووقفة كريمة لاخوانكم الاولين من العساكر المصريين أبرزوا فيها شرف الراية العسكرية وأظهروا مآثر النجدة والحمية والغيرة الوطنية حتى سارت بحديث وقائعهم الركبان وأثنى على محاسن بدائعهم كل لسان فما هنالك من بقعة الا وفيها وقعة ولا من موطئ قدم الا وفيه أريق دم فمضى من استشهد منهم فائزا بالثواب والاجر وعاد من بقى حائزا للفخر والنصر وها أنتم من نسلهم واخوانهم ومن أبناء أوطانهم وأنتم خير خلف لاولئك السلف كما أن هؤلاء العصاة نسل من كان بها من أهاليها وهذه الجزيرة التى أنتم بها هى بعينها التى كانوا فيها فهما أقدمتم ونصرتم واقتحمتم وظفرتم كان ذلك لمن بقى هنالك من أرواح الشهداء روحا وريحانا ومكرمة واحسانا كما أنه يجعل لكم فى جميع الآفاق شرفا وشانا ويمكن لكم بين الرفاق عزة ومكانا ويقيم لكم على الشجاعة والبراعة دليلا وبرهانا ثم انكم عند عودتكم بعون الله القوى المتين حاملين رايات الفتح المبين رافلين فى حلل النصر والتمكين يكون لكم ذلك شرفا مسرمدا وافتخارا تتحدثون به على المدى حتى اذا التفت عليكم المحافل واجتمع لديكم المستخبر والناقل كان لكم بذلك لسان ذلق وصوت صهصلق وتجدون حينئذ للبراعة مقالا وللفخر بالشجاعة مجالا وترون لاقوالكم من يصدقها ولاخباركم من يحققها وهذه لذة الرجال ومزية الابطال فهل للرجل فخر أعظم من هذا الحال وهل له فضل على المرأة الا باقدامه على الخطوب واقتحامه الاهوال وهل يتميز الشجاع الصنديد من الجبان الرعديد الا فى مواقف القتال ومواقع الحرب والنزال وهل للعسكرى شرف يكتسبه الا بين البنادق والمدافع وهل له فخر يذكره أو يذكر به الا بما يبديه فى تلك الوقائع وهل للكريم الحر أرب فى الحياة الا الفخر يقتنيه بصعب يرتقيه وذكر جميل يبقيه بأثر جليل يبديه فاذا العسكرى لم يكتسب الفخر فى مجال الحروب فاى فرصة يترقبها وأى حالة يتطلبها الا استحصال ذلك المرغوب وانى ما اخترتكم لهذا الامر العظيم الا لاعلاء شأن الوطن الكريم واعلان مالكم من الصيت والفخر القديم لحسن اعتقادى فى صغيركم وكبيركم وحسن نظرى فى مأموركم وأميركم وقد لاح من مساعيكم تأييد ما أملته فيكم وظهرت بحمد الله بشائر النجاح وسفرت أشائر الظفر والفلاح وانما الاعمال بخواتيمها وثمرات الامور فى تمميمها ورجائى من منن الله العظيمة وألطافه العميمة ثم أملى فى طوياتكم السليمة ومساعيكم القويمة أن تكون العاقبة خيرا والختام حسنا وأن تفوزوا بالاجر والثناء وأن تدوموا على منهج السداد والاجتهاد فى الجهاد والقيام على أقدام الاقدام وبذل الجد والجهد والاهتمام حتى ينتهى الامر

ويستكمل النصر ويزول أثر الاختلال وتستقر الاحوال وتعودوا ان شاء الله منصورين فرحين مسرورين مستبشرين بعناية الله العلية فى ظل السلطنة السنية واعلموا أن جميع أخباركم تنتقل فى جرنال الوقعات فتعلم لدى أحوالكم فى جميع الحركات والسكنات حتى كانى مقيم لديكم وحتى كانى أراكم وأنظر اليكم فكل من فاق أقرانه فى الحروب وأبدى من الاقدام والحمية ماهو المطلوب فله مايسره من المكافآت وحسن التلطيف ومزيد الالتفات فاعلموا ذلك واعملوا على حسبه فى كل آن ومكان وأدوام الاقدام والاهتمام غاية الاستطاعة ونهاية الامكان قد أصدرت أمرى هذا اليكم اعلاما بما حواه ودستورا يعمل بمقتضاه واعلانا للمسرتى من حسن صنيعكم وايذانا بفرحى وابتهاجى بجميعكم واستفسارا عن خواطركم وافتخارا بمفاخركم أمدكم الله بعنايته وعونه وجعلكم فى حرز رعايته وصونه وأدام توفيقى واياكم لما يرضاه والسلام عليكم ورحمة الله

(وكتب أيضا من الحضرة الخديوية الى من باشر واقعة أرقازى من الضباط الجهادية وأفراد العساكر المصرية)

سلام من الله وتسليم ورضوان كريم يهدى لاولكم وآخركم ويسدى لمأموركم وآمركم لازلتم محفوفين من الله بنصره محفوظين بأمره غالبين على عدوكم بقهره متقلبين فى نعمته وبره ولا انفكت عزائمكم فى كروب الحروب عزائم وثغوركم فى قطوب الخطوب بواسم وأعلامكم للنجح والتمكين علائم وأيامكم للفتح المبين مواسم ورياح القهر والدمار على عدوكم سمائم ونسمات النصر والفخار فى رواحكم وغدوكم نواسم

وبعد فمازلت أتشوق من أخبار شجاعتكم مايسر الخواطر وأتشوف من آثار براعتكم مايقر النواظر واثقا بعزمكم وحزمكم فى المضايق مبتهجا بما أبديتموه من حسن السوابق حتى ورد وابور الشرقية من طرف حضرة الباشا ناظر الجهادية بوميات الوقائع العسكرية مشتملة على واقعة أرقازى وتفصيلاتها وما كان من رسوخ أقدامكم وثباتها واقدامكم فى جهاتها واقتحامكم مضائق حصونها واستحكاماتها وتسخير مستعصماتها وتدمير أشقياء العصاة وكماتها حتى زلزلت صياصيها وذللت نواصيها ودنى لكم قاصيها ودان عاصيها فكذا تكون رجال الجهاد وابطال الجدال والجلاد وهكذا تفتح الحصون ويبرز سر النصر المصون وفى ذلك فليتنافس المتنافسون فقد أسفر لكم بحمد الله وجه التهانى وأشرف عليكم يمون الله غرس الامانى وأيدتم ماثبت للعساكر المصرية من حسن الشهرة فى الامور العسكرية فحصل لى من الانس والسرور بهذه البشارة مالم تقدر الانس أن تصف مقداره ولا يتسع له مجال الاشاره وتأيد فيكم حسن

أنظاري وظهرت ثمرة أفكاري وتحققت أنكم بعد الآن بعون الله الكريم لاتزلون عن هذا الطريق القديم ولاتزالون في تأييد مالكم من المجد القديم وقد شاع حديث نصركم بين الاهل والديار وسارت الركبان بمحاسن هذه الاخبار كما نقلته صحف الوقائع الى جميع الاقطار فانشرحت صدور أهلكم واخوانكم وفرحت بكم جميع أهل بلدانكم وابتسمت ثغور أوطانكم وافتخرت باحاديث شجعانكم وارتاحت أرواح الشهداء من أقرانكم والمأمول في ألطاف الله العلية وبركات السلطنة السنية ثم في حميتكم الملية وغيرتكم الوطنية ان يزول حال الاختلال عن قرب وينتهي أمر القتال والحرب ويطيع الجميع ويسهل كل صعب منيع وتعود والوطننا العزيز ظافرين بالتعزيز وقد قرب حصول الامل ونجاح العمل ومضى الاكثر وبقي الاقل والحرب للرجل العسكري والبطل الجري سوق عظيم وموسم كريم تشترى فيه غوالي المعالي باعلى العوالي وتنال فيه منازل الاكارم في ظل السيوف الصوارم ويدرك الفخر الصادق برامي المدافع والبنادق وقد علمتم ان الشجاعة وان كانت تبلغ الآمال لاتقصر الآجال كما ان الجبن وان كان يورث العار لايؤخر الاعمار وانما هي آجال محدودة وأنفاس معدودة لاتقبل التغيير ولا التقديم والتأخير والشجاعة صبر ساعة ثم ينكشف الغبار وتسفر الاخبار ويتناقل حديث الشجعان ويخلد في تواريخ الزمان فداوموا على ابداء الاجتهاد وقوموا باداء حقوق الجهاد واثبتوا على الشجاعة والاقدام وثبات القلوب والاقدام وأنجزوا بمعونة الله تعالى هذا المرام وكما جودتم براعة المطلع أحسنوا براعة الختام

(وكتب في أوائل عهد الجناب الخديوي عن حضرته الى ملك دارفور)

حمدا لمن ألف بين قلوب المؤمنين وجعلهم بنعمته اخوانا في الدين وصلاة وسلاما على رسول جنابه وسيد أحبابه وعلى آله وأصحابه من كافل الديار المصرية وماوالاها من الاقطار السودانية الى حضرة صفوة السادة الامجاد الجامع ماتفرق من مكارم المحامد غرة جبين الشرف الاجلى وقرة عين المجد الاعلى بحر الفضل الزاخر وبدر سماء المحاسن والمفاخر ونخر الاوائل والاواخر الملك المعظم السلطان المفخم محمد بن الحسين المهدي سلطان مملكة دارفور حفظه الله بدوام السرور والسعد الموفور آمين

بعد سلام ينبئ عن صريح الوداد ويخبر عما في صميم الفؤاد من صحيح المحبة والاتحاد وتحية يحلو على الالسن حسن تكريرها ويعبر عن صدق الولاء طيب عبيرها وشوق يقل عنه البيان ويكل دونه البنان وسؤال عن الخاطر العالي أدام الله معاليه وحف بطوالع السعود أيامه ولياليه بينما نحن في انتظار مايرد من الرسائل والثناء على حسن تلك الشمائل وردنا خطابكم الكريم

فقابلناه بمزيد التعظيم وسررنا بحسن صحبتكم وما أبديتموه من لطف مودتكم فالله يرعى تلك الصحبة ويلحظها ويديم هذه المحبة ويحفظها وقد أوضحتم أن سلفنا السعيد المنتقل الى رحمة ربه المجيد ضاعف الله حسناته وأحله أعالى جناته كان قد جعل فلانا وكيلا فى رؤية أموركم البهية على منهج السداد ونحن أيضا قررناه فى هذه الوظيفة وأوصيناه بالاهتمام فيما يتعلق بتلك الحضرة الشريفة وسيجد منا فى ذلك حسن المساعدة ودوام التسهيل والمعاضدة ثم ما تكرمتم بارساله مع كريم خطابكم على يد القاصدين الواردين من عالى جنابكم قوبل بقبوله عند وصوله والمبعوث مع القاصدين المذكورين لناديكم الكريم ماهو موضح فى البطاقة المطوية مع هذا الرقيم والمرجو أن تتصل بيننا روابط الود على الدوام كما جمعتنا علاقة الاخوة فى الاسلام وصلى الله على سيدنا محمد بدر التمام وعلى آله وأصحابه الاعلام غيوث الافضال وغايات الكمال

الباب السابع فى الجغرافيه والتاريخ

(ذكر منارة الاسكندرية)

قال المسعودى فاما منارة الاسكندرية فذهب الاكثرون من المصريين والاسكندرانيين ممن عنى باخبار بلدهم أن الاسكندر بن فيلبش المقدونى هو الذى بناها ومنهم من رأى أن دلوكة الملكة بنتها وجعلتها مرقبا لمن يرد من العدو الى بلدهم ومن الناس من رأى أن العاشر من فراعنة مصر هو الذى بناها ومنهم من رأى أن الذى بنى مدينة رومة هو الذى بنى مدينة الاسكندرية ومنارتها والاهرام بمصر وانما أضيفت الاسكندرية الى الاسكندر لشهرته باستيلائه على الاكثر من ممالك العالم فشهرت به وذكروا فى ذلك أخبارا كثيرة يستدلون بها على ماقالوا والاسكندر لم يطرقه فى هذا البحر عدو ولا هاب ملكا يرد اليه فى بلده ويغزوه فى داره فيكون هو الذى جعلها مرقبا وان الذى بناها جعلها على كرسى من الخارج على هيئة السرطان فى جوف البحر وعلى طرف اللسان الذى هو داخل فى البحر من البر وجعل على أعلاها تماثيل من النحاس وغيره منها تمثال قد أشار بسبابته من يده اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الفلك واذا علت فى الفلك فأصبعه يشير بها نحوها فاذا انخفضت صارت يده سفلا تدور معها حيث دارت ومنها تمثال يشير بيده الى البحر اذا صار العدو منه على نحو من ليلة فاذا دنا وجاز أن يرى بالبصر لقرب المسافة سمع لذلك التمثال صوت هائل يسمع من مسيرة ميلين أو ثلاثة فيعلم أهل المدينة أن العدو قد دنا منهم فيرمقونه بأبصارهم ومنها تمثال كلما مضى من الليل أو النهار ساعة سمعوا له صوتا بخلاف ما صوت فى الساعة التى قبلها وصوته مطرب وقد كان ملك الروم فى ملك الوليد بن عبد الله بن مروان أنفذ خادما من خواص خدمه ذا رأى ودهاء فجاءه مستأمنا الى بعض الثغور فورد بآلة حسنة ومعه جماعة